قصيدة لم تنشر

لشاعر الحب والجمال لامرتين

بقلم الأستاذ صلاح الدين المنجد

عاد لامرتين فى عام ١٨٤٤ إلى نابولى ، تلك المدينة التى ألقت قدميها فى الماء ، وتركت البحر يدغدغها والنسيم يقبلها . وكانت زيارته الثالثة لهذه البلدة التى خلّفها فى صباه ، وخلّف وراءه فيها « جرازيلا » الحبيبة تعانى فجعة البين ، ولوعة الحب ، وولهَ الحنين . وطاب له المقام ، فأقام فى جزيرة صغيرة بالقرب منها ، يرتع بين حُلم موشّى ، وعيش هادئ ، وتذكّر قاتل . وطافت به أشباح الأحباب فى السنين الخوالى ، ورأى جرازيلّا تهدهده بالنغم البارع فوق ثبج البحر ، وتحزنه بالشكوى المحرقة فى ذلك القصر العتيق . فجاش فى صدره شعر باك حزين ، برغم السنين الأربعين التى عمرها ، وبرغم هذه الشعور التى تشبه غبشة الفجر . وماله لا يقول الشعر الحزين وقد مات الهوى وفقد الحبيب ، وهو بعيد عن وطنه ، وحيد على سيف هذا البحر الهائج كالغلام اليافع ، فقال عشرين بيتاً من الشعر عثر عليها منذ حين فى مجموعة نادرة مخطوطة لأشعار لامرتين فى مكتبة السيد لويس بارتو الخاصة ، ولم تكن قد نشرت من قبل . وهأنذا أنقلها للناس :

عندما كنت فتى ، ملء بردىّ الفخار ،
نشرت أجنحتى أمام أرواح[1] البحار
فحملت شُرُع القوارب أفكارى وسارت
وراحت أحلامى تتوثب فوق مُرّ الأمواج

* * *

كنتُ أرى فى ثنايا الموج الذى يغرق الأفق فيه
عوالم تزخر بالحياة ، وجزائر تطفح بالسرور ؛
تطفو ، موشاة بالياسمين ، مزدانة بأغصان الكروم .
وكان الحب يناديني منها ، والنصر يمد لى معه اليدين
كنت أغبط كل سفينة ببيضٌ من حيزومها الزبدُ
تسمى جذلانة تبغى الشاطئ المجهول .
واليوم ، أجلس على سيف الخليج الثائر
أذكر الماضى ، فأخوض تلك الأواذىّ ثم أعود

* * *

لشد ما أحببت هذه البحار التى ما أزال أهواها
كما أهوى حقلاً رفرف الحزن عليه ،
دفنت فيه أجنحتى ، فعالمها تنطق فى كل مكان :
ذلك ، لا كما هويت من قبل عالم المنى والأحلام

* * *

لقد رقد هذا الشاطئ بحزن ، وأذابت هذه الصخرة نفسى ،
وذوت سعادتى فى هذا الهدوء الخادع .
وهنا ، صعقتنى صاعقة هبطت من السماء
فولّت الموجات تسعى ، تحمل كل واحدة منها
قطعةً من قلبى المكلوم ...

(دمشق) صبوح الدين المنجد

(١) الأرواح : الرياح

صدر كتاب :

وحى الرسالة

فصول فى الأدب والفن والسياسة والاجتماع

بقلم

احمد حسن الزيات

وهو يقع فى زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط

وثمنه ٢٥ قرشا

ويطلب من مجلة الرسالة ومن جميع المكاتب الشهيرة